الباب الثالث

تحليل عن تصوير المرأة في مجموعة قصتين قصيرتين " ماجي تفقد السلطة وثمن الوهم "

يركز هذا الباب على تحليل تمثيل المرأة وأشكال الصراع الوجودي التي تعيشها الشخصيات النسائية في قصتين قصيرتين من أعمال نوال السعداوي، هما ماجي تفقد السلطة وثمن الوهم. وتمثل هاتان القصتان المرأة بوصفها ذاتا تتحرك داخل علاقات اجتماعية غير متكافئة، حيث تتشكل أدوار الشخصيات النسائية وهوياتها وحريتها تحت وطأة المعايير الاجتماعية وعلاقات القوة الأبوية. وتفضي هذه الأوضاع إلى نشوء صراعات وجودية تتجلى في القلق الداخلي، وأزمات الهوية، والوعي بحدود الاستقلال الذاتي، سواء من خلال تجربة فقدان السلطة التي تؤثر في الاعتراف الاجتماعي بالشخصية النسائية، أو من خلال الوعي بانهيار أوهام الحياة التي عاشت في ظلها طويلا. ويجري هذا التحليل بالاستناد إلى منظور النسوية الوجودية عند سيمون دي بوفوار، للكشف عن الكيفية التي تواجه بها الشخصيات النسائية البنى الاجتماعية التي تقيد حريتها وتحد من وجودها بوصفها ذواتا فاعلة.

أ. تصوير المرأة في القصة القصيرة ماجي تفقد السلطة وثمن الوهم

UIN IMAM BONJOL
PADANG

١. المرأة في علاقة الجسد وهوية الانوثة

أ) جسد المرأة اساسا للحكم والرقابة الاجتماعية

في القصة القصيرة "*ماغي تفقد السلطة*" يشكل جسد الشخصية ماغي النقطة الاولى التي تكشف عن تحول موقعها الاجتماعي بعد فقدانها السلطة. ولا تركز السردية على سياساتها السياسية او انجازاتها الفكرية، بل تصب اهتمامها على هيئة الجسد وحركاته وتعابيره الجسدية. وهذا يدل على ان المرأة حين تفقد سلطتها في المجال العام يغدو جسدها على الفور موضوعا للقراءة الاجتماعية. ويؤدي الجسد في هذا النص وظيفة رمزية بوصفه علامة على انهيار السلطة، وفي الوقت نفسه فضاء للرقابة المستمرة التي يمارسها المحيط الاجتماعي

عليها. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"تنهض من وراء مكتبها الكبير بمبنى الرئاسة في القصر، تمشي بجسم ثقيل وظهرها محني قليلا، تغلق الباب خلفها بلا صوت. تلمح زوجها جالسًا في البهو الخارجي، واضعا الساق فوق الساق لا ينزل ساقه حين يلمحها كما كان يفعل"*[٥٦]، تدل هذه المعطيات على ان جسد الشخصية ماغي صار تمثيلا مباشرا لتراجع سلطتها. فعبارتا "جسد ثقيل" و"ظهر منحن" ليستا مجرد وصفين حسيين، بل هما رمز للهزيمة وتضاؤل الهيبة. بل ان تغير موقف زوجها، اذ لم يعد يبدي اشارات الاحترام، يؤكد ان مكانة ماغي الاجتماعية تقرأ من خلال جسدها.

تتضح الرقابة على جسد الشخصية ماغي بصورة ابلغ حين حاولت ان تضبط هيئتها امام زوجها: *" تفرد ظهرها لتخفي الانحناءة، تشرئب بعنقها إلى أعلى كالزرافة، تشد عضلات وجهها لتنزع ابتسامة،"*[٥٧] يكشف هذا الاقتباس ان جسد المرأة يقع ضمن سيطرة واعية ومقصودة. فقد سعت ماغي الى ستر علامات الضعف الجسدي لكي تبدو ثابتة ذات كرامة. وتشير هذه الحركات الى وعيها بانها موضع نظر وتقييم. فالجسد لا ينظر اليه من قبل الاخرين فحسب، بل تضبطه هي ايضا ليوافق معيار الصورة التي تراد للمرأة القوية الموقرة.

فضلا عن ذلك، صار جسد الشخصية ماغي موضوعا للتقويم يرتبط ارتباطا مباشرا بانثويتها. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *" ورمق التجاعيد حول فمها المزموم المدهون بقلم الروج، والثدي المتهدل المرفوع بالمشد المطاطي تحت الجاكت الرسمي الأسود، وخصرها الممتلئ باللحم رغم عذابات الريجيم".*[٥٨] يدل هذا على ان جسد ماغي يقاس وفق معايير جمالية انثوية. فالتجاعيد، وترهل الثديين، واستعمال المشد، كلها علامات على ضغط اجتماعي يفرض المحافظة على صورة المرأة المثالية. ولم يعد النجاح السياسي محور الاهتمام، بل غدت

---

[٥٦] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٢٩

[٥٧] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٢٩

[٥٨] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

الحالة الجسدية وعلامات التقدم في السن هي موضع العناية والنظر. وفي هذه القصة القصيرة يتخذ جسد المرأة مقياسا اوليا لقيمتها الذاتية؛ فاذا عد الجسد غير مطابق للمثال المرغوب، تعرضت هيبتها والاعتراف بمكانتها للتشكيك.

في القصة القصيرة "ثمن الوهم" يمثل جسد المرأة اساسا للاعتراف الاجتماعي يعتمد اعتمادا شديدا على جاذبيته وظهوره في الفضاء العام. وعلى خلاف شخصية ماغي التي ارتبط جسدها بالسلطة، فان شخصية فتحية تتعرض لمحو اجتماعي حين لا يعود جسدها موضع اهتمام. وتكشف السردية ان قيمة المرأة تقاس بمدى ما يرى جسدها ويشتهى. فاذا لم يعد الجسد لافتا للنظر، بدا وجود المرأة كأنه غير محسوب في البنية الاجتماعية. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *" خرجت إلى الشارع تنظر إلى البشر، لكن أحدًا من البشر لم ينظر إليها"* [٥٩] يبين هذا الاقتباس اختلالا بين فعل النظر وكون المرء منظورا اليه. فشخصية فتحية ما زالت قادرة على رؤية الاخرين، لكنها لم تعد موضوع نظرهم. وهذه اللامرئية تمثل شكلا من اشكال التقويم الاجتماعي لجسدها. وفي هذا السياق يغدو جسد المرأة شرطا لنيل الاعتراف؛ فاذا لم ينظر اليه، فكأنها قد فقدت قيمتها الاجتماعية.

فضلا عن اللامرئية الاجتماعية، تبين هذه القصة القصيرة كيف تتداخل الرقابة على جسد المرأة في وعيها الذاتي نفسه. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *" لم يعد يهمها أن يراها كما هي، ولا شيء يخجلها من سنين عمرها ."* [٦٠] يدل هذا القول على تحول موقف شخصية فتحية من جسدها. فعدم المبالاة لا يعني انها تحررت من التقويم الاجتماعي، بل هو ثمرة تجربة طويلة حين لم يعد جسدها مركز اهتمام. فقد ادركت ان جسدها لم يعد يملك جاذبية اجتماعية، فاختارت الا تعلق قيمتها الذاتية بنظر الاخرين اليها. وتشير المعطيات المستفادة من هذا النص الى ان الرقابة على جسد المرأة لا تصدر من الخارج فحسب، بل تسهم ايضا

---

[٥٩] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٩

[٦٠] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٧

في تشكيل وعيها الباطني. ويغدو الجسد ساحة تتفاوض فيها قيمة الذات في ضوء نظرة المجتمع ومعاييره.

ب) جسد المرأة بين السلطة والشيخوخة وفقدان القيمة

لم يكن جسد الشخصية ماغي مجرد اساس للتقويم الاجتماعي، بل صار ايضا موضع التقاء بين السلطة والشيخوخة وفقدان قيمة الذات. فحين كانت في موقع سياسي قوي، كان جسدها ملتصقا برمز السلطة ودلالتها. غير انه بعد فقدان المنصب، اخذت علامات التقدم في السن في جسدها تبرز اكثر، واقترنت بتراجع الهيبة وانحسار انوثتها. وفي هذا النص لا يفصل جسد المرأة عن عمرها ومكانتها الاجتماعية، بل ان التحول الجسدي يؤثر مباشرة في طريقة النظر اليها وتأويلها. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"ورأى صورتها أصغر مما كانت، وبضعة سطور تحت الصورة تقول الآتي: مسكينة ماجي إن الحرمان من حنان أمها في الطفولة هو السبب وراء شخصيتها العدوانية، فلم تكن أمها ترى فيها أي أنوثة، وتنبأت لها بالفشل في حياتها"* [٦١]. يبين هذا الاقتباس ان صورة ماغي التي كانت تبدو في السابق كبيرة ذات سلطة قد صورت الان اصغر حجما. فتصاغر حجم الصورة رمز لتقلص سلطتها ونفوذها. كما ان التقويم الموجه اليها لم يعد منصبا على كفاءتها او قدرتها السياسية، بل تحول الى انوثتها وماضيها الشخصي. وهذا يعني انه حين خرجت من موقع السلطة، لم يعد الحديث عن انجازاتها، بل عن جسدها وانثويتها، بل وحتى عن تجارب طفولتها.

ويتجلى الارتباط بين السلطة وفقدان القيمة ايضا في حوار زوجها الذي ربط نجاح ماغي السياسي بضياع دورها الامومي. ويتأكد ذلك في الاقتباس الاتي: *"وماذا أخذت يا ماجي من كل هذا النجاح، إلا حرمان أطفالك من أمومتك وحرماني من ...؟ وسكت لحظة، وقال لنفسه: حرماني من أنوثتك"* [٦٢]. يبين هذا ان نجاح ماغي السياسي نظر اليه بوصفه سببا في زوال القيم الانثوية كالامومة والرقة. فالسلطة تعد في هذا السياق مناقضة

---

[٦١] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

[٦٢] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

للانوثة. وتشير الدلالة المستفادة من هذا الاقتباس الى انه في البنية الابوية المرسومة في النص، تكون المرأة التي تدخل المجال العام معرضة لفقدان الاعتراف بها بوصفها امرأة مثالية.

فضلا عن ذلك، اقترنت شيخوخة جسد ماغي صراحة بمحاولة الحفاظ على صورة الذات من خلال رموز جسدية، ويتضح ذلك جليا في الاقتباس الاتي: *"وهي واقفة إلى جوار زوجها في الشرفة، تنهدت وهي تتأمل ألوان السماء لحظة الغروب، خرج من صدرها زفير طويل من تحت المشد المطاطي... وأخرجت من حقيبتها مرآة صغيرة، تأملت وجهها عيناها مرهقتان قليلا، شفتاها باهتتان. أخرجت إصبع الروج، ومرت به فوق شفتيها بسرعة"* [٦٣]، يكشف هذا الاقتباس كيف يواجه تقدم الجسد في السن بمحاولة اصلاح المظهر الخارجي. فالمشد واحمر الشفاه يصيران رمزين لمسعى الحفاظ على القيمة الانثوية في ظل فقدان السلطة. ويغدو الجسد الشيخ شيئا ينبغي ضبطه والسيطرة عليه لئلا يفضي الى مزيد من انتقاص قيمة الذات.

وفي القصة القصيرة "ثمن الوهم" يمثل جسد المرأة مصدرا للقيمة يعتمد اعتمادا كبيرا على السن وجاذبية الجسد. فالشيخوخة ليست مجرد تحول بيولوجي، بل تغدو سببا في فقدان الاهتمام والاعتراف الاجتماعي. فالجسد الانثوي الذي لم يعد شابا لا يبقى مركزا للنظرات، ومن ثم تنخفض قيمته في شبكة العلاقات الاجتماعية. ويتأكد الارتباط بين الجسد والشيخوخة وفقدان القيمة في تصوير حالها زوجة لم تعد ذات مكانة معتبرة، كما يتجلى في الاقتباس الاتي: "*وهي صامتة تماما ككل الزوجات الميتات، ولا شيء يؤلمه منها إلا حين تتحرك عيناها بعيدا قليلا، فيفوتها شيء من كلامه، أو هكذا يبدو إليه*"[٦٤]. يدل هذا الاقتباس على ان فتحية صورت كأنها قد ماتت رمزيا، مع انها ما تزال على قيد الحياة. فالتعبير لا يحيل الى موت حسي، بل الى زوال وظيفتها وقيمتها داخل العلاقة الاجتماعية. فلم تعد ترى بوصفها ذاتا فاعلة، بل غدت شخصية سلبية لا يعتد بحضورها ولا يحتسب في ميزان التفاعل الاجتماعي.

---

[٦٣] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣١

[٦٤] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٩

ج) جسد المرأة بوصفه محددا للقيمة الوجودية

لم يكن جسد المرأة موضوعا للتقويم الاجتماعي فحسب، بل غدا محددا لقيمتها الوجودية ايضا. فقد شرعت ماغي تتساءل عن معنى وجودها كامرأة حين لم يعد جسدها يرى رمزا لانثوية مكتملة. واصبح الجسد مقياسا لما اذا كانت لا تزال تملك قيمة بوصفها امرأة، لا بوصفها قائدة. ويكشف ذلك عن ان هوية ماغي الوجودية وثيقة الصلة بكيفية ادراك جسدها، سواء من قبل الاخرين ام من قبلها هي. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"وقالت لزوجها: هل السياسة تفقد المرأة أنوثتها يا دنيس؟"* [٦٥]. يدل هذا الاقتباس على ان ماغي بدات تشك في قيمة ذاتها كامرأة بسبب انخراطها في العمل السياسي. فالسؤال ليس مجرد تأمل عابر، بل هو تعبير عن قلق وجودي عميق. انها تتساءل عما اذا كان نجاحها في المجال العام قد افضى بها الى فقدان معناها كامرأة.

فضلا عن ذلك، يتجلى الترابط بين الجسد والقيمة الوجودية ايضا في نقد زوجها للسياسات التي اقرتها: *"أنت يا ماجي كنت تصدرين القوانين ضد حضانة الأطفال وضد حقوق النساء والزنوج،.... لكن عينيك الجميلتين يا حبيبتي لا تريان إلا القصر والحكم والمنصة التي تقفين عليها"* [٦٦]. يبين هذا الاقتباس ان جسد ماغي، ولا سيما عينيها الجميلتين، ذكر على سبيل المفارقة حين وضعت قيمتها الانسانية موضع تساؤل. فالجمال الجسدي يذكر، لكنه يقابل بنقد اخلاقي، مما يدل على ان جسد المرأة في هذه القصة لا يقيم تقويما جماليا فحسب، بل يتخذ رمزا للحكم على قيمتها الوجودية والانسانية. وحين عدت فاقدة للتعاطف، استحضر جسدها لتأكيد المفارقة بين المظهر ومعنى الذات.

وفي القصة القصيرة "ثمن الوهم" لا يكون جسد المرأة اساسا للتقويم الاجتماعي فحسب، بل يغدو محددا لقيمتها الوجودية ايضا. فجسد المرأة في هذه الحكاية يؤدي وظيفة مصدر لمعنى الحياة ومصدر للوهم في ان واحد. فحين يكون الجسد محتفظا بجاذبيته، تشعر

---

[٦٥] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣١

[٦٦] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٢

UIN IMAM BONJOL PADANG

المرأة بان لها قيمة ومكانة في العلاقة. غير انه كلما تقدمت في السن وخف عنها الاهتمام، اخذت تتساءل عن معنى وجودها. ويتبين ان قيمتها الوجودية كانت رهنا بالاعتراف بجسدها. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"لكن يا محمد هكذا قالت عيناها وهي تنصت إليه، سقط القناع عن وهم حياتي، ولم يعد أمامي وقت طويل لأضيعه، وأنت أيضًا مثلي تمشي في الشارع كتلة عجوزة من اللحم، بلا قيمة يا محمد مثلي، وهكذا تساوينا في الشيخوخة بمثل ما تساوينا في الطفولة"* [٦٧]. يدل هذا الاقتباس على ان الجسد، ولا سيما الوجه، يغدو موضع تامل وجودي. فحين ينهار الوهم، لا يبقى الا الجسد الذي ادركته الشيخوخة. وقد وعت فتحية ان قيمتها كانت مشيدة على وهم ارتبط بجاذبيتها الجسدية.

٢. موقع المرأة في العلاقات الاجتماعية والنظام الابوي

أ) المرأة في علاقة الزواج والفضاء المنزلي

في القصة القصيرة "ماغي تفقد السلطة" تكشف العلاقة الزوجية بين شخصية ماغي وشخصية دينيس عن استمرار عمل النظام الابوي، على الرغم من ان ماغي كانت قد بلغت اعلى موقع سياسي. فالسلطة في المجال العام لا تفضي بالضرورة الى زوال بنية الهيمنة داخل الاسرة. بل يغدو الفضاء المنزلي ساحة لتفاوض السلطة، يظهر فيها الصراع بين الدور التقليدي للمرأة ورغبتها في المساواة. ومن ثم لا تقوم العلاقة الزوجية في هذه القصة على بعد رومانسي محض، بل تمثل ميدانا لصراع رمزي بين سلطة الرجل واستقلال المرأة. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"كان يريدها منذ تزوجته صورة طبق الأصل من أمه، تطبخ الكرنب بالطريقة نفسها، وفي الساعة الخامسة تقدم له الشاي، وهو جالس الساق فوق الساق يقرأ الجريدة، أو يشهد المباراة فوق الشاشة. وفي الصباح لا مانع من ذهابها إلى مكتبها في الحزب أو الوزارة، وحصولها على شيء من الشهرة أو المال، بشرط أن يظل هو الرئيس في البيت. وإذا احتدم الخلاف حول أي شيء"* [٦٨]. يبين هذا الاقتباس بوضوح بنية النظام الابوي داخل الاسرة.

---

[٦٧] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٩

[٦٨] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

فشخصية دينيس تتيح لماغي ان تعمل وتحقق انجازا في المجال العام، لكنها في الوقت نفسه تصر على احتفاظه بالهيمنة الكاملة في الفضاء المنزلي. وتؤكد عبارة بشرط ان يظل هو الرئيس في البيت ان موقع القيادة للرجل يعد امرا طبيعيا مفترضا داخل الاسرة. فللمرأة ان تنجح خارج البيت، غير انها مطالبة بالخضوع داخله.

ويتضح هذا النمط من الهيمنة على نحو ابلغ من خلال موقف ماغي التي رفضت منذ البداية صورة العلاقة القائمة بين والديها، كما يتبين في الاقتباس الاتي: *"وقالت: اسمع يا دنيس، لن أكون مثل أمك ولن تكون أنت مثل أبي، ولن تنظر إلى يوما من الأيام تلك النظرة المشفقة الخالية من الاحترام. ووقفت أمامه مشدودة الظهر، مشرئبة العنق رأسها مرفوع لا ينحني"* [٦٩]. يدل هذا الاقتباس على ان ماغي كانت واعية منذ البدء بالنمط الابوي في اسرتها، وسعت الى قطعه. فقد رفضت ان تكون شخصية منزلية سلبية على مثال امها الخاضعة لابيها. كما ان وقوفها بظهر مستقيم ورأس مرفوع يرمز الى مقاومة هيمنة الرجل داخل الاسرة. غير ان تكرر الصراع في علاقتهما يكشف ان النظام الابوي لا يزول بسهولة بمجرد اعلان الارادة.

وفي القصة القصيرة "ثمن الوهم" تصور العلاقة الزوجية فضاء يضع المرأة في موقع تابع على نحو منهجي. فشخصية فتحية لا تحضر في البيت بوصفها ذاتا مساوية، بل طرفا يتحمل العبء العاطفي والاجتماعي من غير ان ينال اعترافا مكافئا. ويعمل النظام الابوي في هذه القصة بصورة خفية من خلال المواقف والقرارات وانماط العلاقة التي تجعل المرأة مطالبة بالقبول والتضحية والتكيف. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"وهل يمكن أن يتساوى الناس كأسنان المشط، أو تُلغى الفروق بين البشر ؟ مثلا هذه الفروق الطبيعية التي خلقها الله لكل من المرأة والرجل، هل يمكن أن نلغيها يا فتحية؟"* [٧٠]. ترد هذه الاسئلة الاستفهامية في سياق حوار يشكك في امكان المساواة بين الرجل والمرأة. فالمساواة داخل العلاقة الزوجية لا يعترف بها

---

[٦٩] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

[٧٠] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٨

اعترافا حقيقيا، بل توضع المرأة في مرتبة مغايرة على نحو هرمي. ويكشف هذا القول ان فكرة المساواة تعد امرا غير واقعي في هذا التصور.

ب) المرأة بوصفها موضوعا للملكية والتفاني

لا توضع المرأة في علاقة غير متكافئة فحسب، بل تموضع ايضا كيانا يتعين عليه الخضوع لبنية رمزية من ملكية الرجل. فالنظام الابوي لا يعمل بعنف ظاهر، بل يتجلى من خلال العادات والاشارات والافتراضات التي ترسخ هيمنة الرجل في الفضاء الخاص. وعلى الرغم من ان شخصية ماغي تولت رئاسة الحكومة من قبل، فانها في المجال المنزلي ظلت ضمن علاقة تفرض عليها التكيف وخدمة سلطة الزوج. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *"وهو جالس إلى جوارها صامت والصمت ثقيل، يُشبه الصمت في البيت منذ كانت طفلة وفي عينيه النظرة إياها. ومن تحت الشفقة والأدب لمعة ابتسامة ساخرة أو شامتة، وفي كل هزيمة لها تكاد ترى هذه النظرة ذاتها"* [٧١]. يبين هذا الاقتباس ان العلاقة الزوجية لدى ماغي مشحونة بنظرات تنطوي على تفوق مستتر. فنظرة زوجها ليست حيادية، بل توحي بشعور بالامتلاك وبنوع من السيطرة الرمزية. ومع كل هزيمة تتعرض لها ماغي، كان حضوره التعبيري يؤكد هيمنته العاطفية. وهذا يدل على ان المرأة في هذه العلاقة لا تقوم ذاتا مستقلة استقلالا تاما، بل تبقى في موقع يخضع للتقويم المستمر وتحت قبضة رمزية للرجل.

ويتجلى بعد الملكية في العلاقة على نحو اظهر في الحوار الاتي: *"ويقول دنيس وهو يغمض عينيه متظاهرا بالنوم: كنت أخاف يا ماجي من رئيسة الحكومة"* [٧٢]. يكشف هذا الاقتباس ان ماغي حين كانت في موقع السلطة صارت شخصية مثيرة للخوف. غير ان هذا الخوف لا يدل على اعتراف متكافئ، بل يعبر عن توتر داخل بنية الهيمنة. فحين فقدت ماغي سلطتها في المجال العام، عادت العلاقة الى النمط المنزلي الذي يبدو اكثر استقرارا للرجل. ويشير هذا القول ضمنا الى ان الرجل في الفضاء الاسري يشعر بانه ينبغي ان يكون الطرف المهيمن حتى تستقيم العلاقة في نظره.

---

[٧١] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٢٩

[٧٢] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٢

وفي القصة القصيرة "ثمن الوهم" تمثل المرأة في علاقة تضعها موضع موضوع للملكية وطرفا يطلب منه التفاني في الخدمة. فالعلاقة بين الرجل والمرأة لا تقوم على اساس المساواة، بل على منطق المعاملة والسيطرة. وينظر الى جسد المرأة بوصفه شيئا يمكن امتلاكه وتقويمه بل ومبادلته ضمن بنية العلاقات الاجتماعية. ويتجلى النظام الابوي في هذه القصة من خلال الطريقة التي يفهم بها الرجل العلاقة، اذ تغدو المرأة جزءا من مجال سلطته ومصلحته. ويتضح ذلك في الاقتباس الاتي: *"تصوري يا فتحية، أنا لا أكف عن التفكير في هذه البنت مع أنها أهانتني كل ما فعلته في حياتي لا يساوي عندها شيئًا، ما دمت عاجزا عن أشتري لها شقة باسمها، أهي إهانة للرجل يا فتحية أن تشترط عليه المرأة قبل أن يدخل بها، وأن يكون هذا الشرط شقة مثلا ؟! أهي تبيع نفسها لي ؟ أم أنني أبيع نفسي لها لو كنت أملك ثمن الشقة؟!"* [٧٣]. يبين هذا الاقتباس صراحة ان جسد المرأة يوضع ضمن اطار المعاملة. فالسؤال عن شقة تكتب باسم المرأة بوصفها ثمنا لجسدها يكشف ان العلاقة تقرأ بمنطق الملكية والمبادلة. فلا يفهم جسد المرأة ذاتا مستقلة، بل شيئا قابلا للتقويم ويمكن ان يدفع في مقابله ثمن.

ج) المرأة بوصفها الأخر في البنية الاجتماعية

لم تكن شخصية ماغي تواجه البنية الابوية داخل الاسرة فحسب، بل وضعت ايضا في موضع الاخر ضمن بنية اجتماعية اوسع. فبوصفها امرأة دخلت مجال سلطة يهيمن عليه الرجال، كانت تقيم على الدوام لا باعتبارها ذاتا سياسية محايدة، بل امرأة مختلفة عن المعيار السائد. ولم يحظ وجودها في البنية الاجتماعية بقبول تام بوصفه مركزا، بل ظل يوضع في موقع يتعين عليه الاثبات ويخضع للتساؤل. ويتجلى ذلك بوضوح في الاقتباس الاتي: *"حتى النساء يا ماجي اتهموك بأنك عدوة تحرير النساء، تحكمين بعقلية الرجال وتساندين الحكومات العنصرية في جنوب أفريقيا وإسرائيل، وتتبعين رئيس أمريكا مثل ذيله الناس يقولون إنك مريضة بعقدة إلكترا» أو عقدة النقص، تسعين للحصول على العنصر الناقص دون جدوى"* [٧٤]. يبين

[٧٣] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٨٠

[٧٤] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣١

هذا الاقتباس ان ماغي وضعت في موقع من يحيد عن صورة المرأة المتوقعة. فقد اتهمت بانها ليست انثوية بما يكفي، بل انها تتبنى عقلية ذكورية. وتكشف هذه الاتهامات ان البنية الاجتماعية لا تتيح للمرأة في موقع السلطة حيزا محايدا؛ فان كانت حازمة قيل انها تشبه الرجل، وان كانت لينة عدت ضعيفة.

ولا يقتصر تموضع ماغي بوصفها الاخر على الاتهامات الموجهة اليها، بل يظهر ايضا في الطريقة التي تمثلها بها وسائل الاعلام في الفضاء العام، كما يتجلى في الاقتباس الاتي: *"وحينما اشتد الصمت داخل السيارة، فتح الجريدة في حجره ورأى صورتها أصغر مما كانت، وبضعة سطور تحت الصورة تقول الآتي: مسكينة ماجي إن الحرمان من حنان أمها في الطفولة هو السبب وراء شخصيتها العدوانية"* [٧٥]. يبين هذا الاقتباس ان هوية ماغي في المجال العام اختزلت في بعد نفسي وعاطفي. فلم تقرأ شخصيتها بوصفها اختيارا سياسيا عقلانيا، بل فسرت في ضوء جراح الطفولة ونقص العطف. كما ان الصورة التي بدت اصغر حجما صارت رمزا لتقلص مكانتها الاجتماعية. فهي في البنية الاجتماعية لا تعامل ذاتا سياسية مكتملة، بل موضوعا للتحليل الشخصي يجري تخصيصه وتصغيره.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ب. الصراع الوجودي للشخصيات النسائية في مواجهة الضغوط الاجتماعية

١. الصراع بين إرادة الحرية ومقتضيات النظام الابوي

أ) صراع الحرية وفطرة المرأة

ينشأ الصراع الوجودي لشخصيات النساء في القصتين من تعارض جوهري بين ارادة تقرير الحياة بحرية، وبين المطالب الاجتماعية الابوية التي تلصق بها بوصفها فطرة المرأة. فالحرية تفهم اختيارا واعيا لتجاوز حدود المجال المنزلي، في حين تصاغ الفطرة قيدا بيولوجيا واخلاقيا لا يجوز تخطيه. وفي القصة القصيرة "ماغي تفقد السلطة" يتجلى هذا الصراع صراحة في قلق ماغي حين اخذت تتساءل عن معنى اختيارها دخول عالم السياسة. ويتضح ذلك في الاقتباس

---

[٧٥] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

الاتي: *"الطبيعة جميلة كما كانت، لكن الناس تغيرت منذ تركت الحكم، أتظن يا دنيس أنني خالفت الطبيعة حين دخلت الحزب واشتغلت بالسياسة ؟"* [٧٦]. تشكل عبارة خالفت الطبيعة لب الصراع الوجودي عند ماغي. فالسياسة توضع في موضع مجال يرتبط اجتماعيا بالذكورة والسلطة والهيمنة. وحين تتساءل ماغي عما اذا كانت قد خالفت الطبيعة، فانها في الحقيقة تواجه بناء اجتماعيا يقضي بان للمرأة حيزا مغايرا لحيز الرجل. وهكذا يغدو الصراع لا اجتماعيا فحسب، بل وجوديا، اذ تشك في مشروعية حضورها كامرأة في المجال العام.

اما في القصة القصيرة "ثمن الوهم" فيحضر صراع الحرية والفطرة في صورة اكثر سكونا من خلال شخصية فتحية. فهي لا تتساءل لفظيا عن فطرتها، غير ان مسار حياتها يكشف كيف تقيدها الاعراف الابوية وتضيق مجال حركتها حتى تكاد تفقد استقلالها الوجودي. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *" وهو جالس أمامها يحكي بصوت الابن المكلوم يفرغ همومه في قلب الأم، يحملها فوق طاقتها العبء فوق العبء، يطهر نفسه من الأدران، يترك لها الأدران لتغسلها بلا مقابل، كالأم تعطي بلا ثمن إلا الحب"* [٧٧]. يبين هذا الاقتباس ان فتحية وضعت في موضع شخصية تتفانى في الخدمة بلا حد. فهي تتلقى العبء العاطفي للرجل من غير ان يكون لها مجال للرفض او لتقرير ذاتها. وقد جعل دورها كام او كامرأة راعية معيارا مسلما به لا يخضع للمساءلة. فلا حيز لحرية ذاتية تخصها، بل ليس ثمة الا التفاني.

ب) الصراع بين اختيارات الحياة والتقييم الاجتماعي

يظهر الصراع الوجودي لدى الشخصيات النسائية عندما تصطدم اختياراتهن الحياتية مباشرة بالتقييم الاجتماعي الذي يقلص معنى وجود المرأة ويحد منه. ففي قصة ماجي تفقد السلطة، لا يفهم اختيار ماجي الانخراط في العمل السياسي بوصفه تعبيرا عن الحرية، بل يقيم تقييما سلبيا من قبل المجتمع والبيئة القريبة منها، كما يتجلى في الخطاب العام الذي يصنفها كامرأة عدوانية ومضطربة نفسيا، كما ورد في القول: *"الحرمان من حنان أمها في الطفولة هو*

---

[٧٦] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣١

[٧٧] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٨١

UIN IMAM BONJOL PADANG

السبب وراء شخصيتها العدوانية" [٧٨]. ويكشف هذا التقييم عن ان اختيارات ماجي الحياتية تفسر من خلال قوالب نمطية جاهزة، لا بوصفها فعلا واعيا يصدر عن ذات مستقلة. اما في فان اختيار فتحية للحياة الزوجية والالتزام بالفضاء المنزلي ينتهي على نحو مفارق الى محو اجتماعي، اذ تفقد قيمتها في نظر المجتمع بعد هجر زوجها لها، كما ورد في العبارة: *" خرجت إلى الشارع تنظر إلى البشر، لكن أحدا من البشر لم ينظر إليها"* [٧٩]. وتعكس هذه الصورة حالة اللامرئية الاجتماعية التي تواجهها المرأة عندما لا تعود مرتبطة بوظيفة تخدم المنظومة الاجتماعية السائدة.

٢. صراع الوعي الذاتي واستدماج القمع

أ) الصراع الداخلي للمرأة في تقبل القيم الابوية

لا ينبثق الصراع الوجودي لشخصيات النساء في القصتين من التعارض بين الحرية والفطرة فحسب، بل يتولد ايضا من التصادم بين اختياراتهن الحياتية والطريقة التي يقيم بها المجتمع تلك الاختيارات. فالاختيار الذي يفترض ان يكون تعبيرا عن الحرية يفسر عبر منظور اجتماعي اختزالي ابوي. وفي مثل هذا السياق لا تعترف المرأة ذاتا تقرر معنى حياتها بنفسها، بل تعامل موضوعا تقاس قيمته بحسب موقعه الاجتماعي. وفي القصة القصيرة "ماغي تفقد السلطة" يتجلى هذا الصراع حين تكشف العلاقة الشخصية لماغي ان اختيارها ان تكون قائدة للدولة لم يقبل قبولا تاما في الفضاء المنزلي. ويتضح ذلك في الاقتباس الاتي: *" والتفتت إليه بغضب تقول: أتتكلم الآن يا دنيس مثل أمك وأمي ؟ ولم يسكت كما كان يسكت، وقال بصوت مرتفع قليلا : أتظنين يا ماجي أن حياتك كانت أسعد منهما ؟ حتى النساء يا ماجي اتهموك بأنك عدوة تحرير النساء، تحكمين بعقلية الرجال وتساندين الحكومات العنصرية في جنوب أفريقيا وإسرائيل، وتتبعين رئيس أمريكا مثل ذيله الناس يقولون إنك مريضة بعقدة إلكترا» أو عقدة النقص، تسعين للحصول على العنصر الناقص*

---

[٧٨] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣١.

[٧٩] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٩.

دون جدوى. وقاطعته بحركة قوية من رأسها أنت تردد ما يقولون؟ وقال الزوج دنيس: تعرفين يا ماجي أنني وقفت إلى جانبك في كل المعارك لأني كنت أحبك .... وصاحت بغضب: تقول «كنت»؟ أتعني أنك لم تعد تحبني يا دنيس؟ ورد الزوج بسرعة أقسم لك يا ماجي أنني أحبك الآن أكثر مما كنت أحبك وأنت في الحكم.وهنا قالت ماجي أنت تحب هزيمتي يا دنيس ولا تحبني أنا" [٨٠]. يبين هذا الاقتباس ان وجود ماغي كامرأة كان اكثر قبولا حين كانت في موقع الهزيمة وغير متسلطة. فاختيارها ان تكون قائدة احدث مسافة في اقرب علاقاتها الاجتماعية. وحين كانت في السلطة بدت شخصية مخيفة عسيرة القبول، اما حين فقدت سلطتها فقد عادت امنا ضمن بنية العلاقة المنزلية. وينشأ الصراع الوجودي من ادراكها ان قبولها الاجتماعي مشروط بحال هزيمتها، لا بوجودها الفردي في ذاته.

اما في القصة القصيرة "ثمن الوهم" فيتجلى الصراع بين الاختيار الحياتي والتقويم الاجتماعي من خلال الكيفية التي تحدد بها قيمة المرأة تبعا لوضع الملكية في العلاقة. ويتضح ذلك في الاقتباس الاتي: *" ولا شيء تملكه إلا الوهم بأن يراها كما كان يراها وهي مملوكة لرجل آخر، وتلمع عيناه بالشبق، وتعطيه نفسها بلا شرط ولا ثمن، إلا تبادل الحب بالعدل والقسطاس على سنة الله ورسوله"* [٨١]. يبين هذا الاقتباس ان قيمة فتحية في نظر الرجل كانت تزداد حين كانت في وضع المملوكية. فحين كانت زوجة لرجل اخر كانت ترى بعين الرغبة والاهتمام. اما حين تبدل ذلك الوضع، تقلصت قيمتها الاجتماعية تبعا له. فاختيارها ان تكون وفية في زواجها وان تضطلع بالدور المنزلي لم يضمن لها اعترافا مستقرا. اذ تحدد قيمتها وفق بنية الملكية، لا بوصفها فردا قائما بذاته.

ب) الصراع بين وهم الحياة والوعي الوجودي

ينشأ هذا الصراع حين تنهار الصورة المثالية التي شيدتها الشخصية النسوية عن ذاتها وحياتها امام الواقع الاجتماعي. فالوهم في هذا السياق ليس مجرد خيال عابر، بل هو بناء للمعنى تقيمه لتحفظ كرامتها ووجودها في ظل بنية ابوية. غير انه حين يعجز هذا الوهم عن

---

[٨٠] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣١

[٨١] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٨١

ستر الحقيقة، ينبثق وعي وجودي مؤلم. وفي كلتا القصتين شيدت ماغي وفتحية وهما لتتمكنا من الاستمرار، لكنهما وجدتا نفسيهما في نهاية المطاف ازاء فراغ في المعنى لم يعد يمكن انكاره. وفي القصة القصيرة "ماغي تفقد السلطة" اقامت ماغي وهما وجوديا من خلال السلطة السياسية بوصفها وسيلة لاثبات ذاتها في مواجهة امها والبنية الاجتماعية التي كانت تشكك في انوثتها. ويتجلى ذلك في الاقتباس الاتي: *" وبعد أن ماتت أمها، أقسمت أن تكذب نبوءتها، وأن تحقق في حياتها نجاحا لم يحققه أبوها ولا أي رجل في الأسرة أو البلد"* [٨٢]. يبين هذا ان نجاح ماغي السياسي لم يكن مجرد طموح شخصي، بل كان مشروعا وجوديا لاثبات الذات. فالسلطة غدت وسيلة لرفض وصمة الفشل والتشكيك في انوثتها. وكان الوهم الذي شيدته يقوم على الاعتقاد بان النجاح في المجال العام سيمنحها مشروعية ومعنى لحياتها.

اما في القصة القصيرة "ثمن الوهم" فيعرض الصراع بين الوهم والوعي الوجودي على نحو اكثر صراحة من خلال تأمل الشخصية المباشر في حياتها. ويتجلى ذلك بوضوح في الاقتباس الاتي: *" أرجوك يا فتحية لا تقاطعيني أنا في حاجة إلى الاستماع، فلم يعد أمامي وقت طويل الأضيعه، بعد أن سقط القناع عن وهم حياتي وماذا كان وهم حياتك يا محمد؟"* . [٨٣] يبين هذا الاقتباس وعيا مرا بان الحياة التي عيشت حتى الان كانت مشيدة على وهم. فعبارة سقط القناع ترمز الى انكشاف المعنى الزائف الذي كان يستر الواقع. وفي سياق العلاقة بفتحية، يتضح ان الوهم المتعلق بالحب والوفاء والنضال الفكري لم يمنح معنى مستقرا يمكن الركون اليه.

استنادا الى مجمل المعطيات التي جرى تحليلها، يتبين ان القصتين تعرضان تمثيلا للمرأة اسيرة بنية ابوية تعمل من خلال الجسد والعلاقات الاسرية والتقويم الاجتماعي وبناء وهم الحياة. فقد غدا جسد المرأة الاساس الاول للحكم الاجتماعي، سواء في سياق السلطة او الشيخوخة او الانوثة، حتى صارت قيمتهن الذاتية تحدد في الغالب بمعايير خارجية. وينشأ

---

[٨٢] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٣٠

[٨٣] نوال السعداوي. نفس المرجع. ص ٧٨

الصراع الوجودي حين تتقابل حرية الاختيار والقرارات الحياتية والوعي بالذات مع الاعراف الابوية التي تضيق مجال الاستقلال. فقد شيدت كل من ماغي وفتحية وهما بوصفه الية للبقاء، غير ان انهيار ذلك الوهم وضعهما ازاء حقيقة مفادها ان الاعتراف بوجود المرأة داخل البنية الاجتماعية يظل اعترافا مشروطا، لا يقر لها اعترافا كاملا بوصفها ذاتا مكتملة مستقلة.

UIN IMAM BONJOL
PADANG